# اميركا كما تراها شعوب الشرق الاوسط [1]

قامت لجنة التحقيق الاميركية المعروفة بلجنة : « كنج — كرين » قبل اثنين وثلاثين عاماً ، باجراء تحقيق محايد نزيه عن رغبات العرب السياسية . وقد وجدت هذه اللجنة ، فيما وجدت ، ان اجماع الرأي العام منعقد على تحبيذ وصاية الولايات المتحدة على البلاد ، اذا كان لا بد لها من قبول وصاية دولة اجنبية . ولو أُعيد مثل هذا التحقيق اليوم فبأمكان اي مراقب سياسي حسن الاطلاع ان يتنبأ عن النتيجة . فستُرفض الولايات المتحدة باكثرية قد تزيد على الاكثرية التي كانت تطالب بمساعدتها قبل ثلاثة عقود من الزمن .

ولاجل ان نحدد اسباب هذا التغيّر في شعور العرب ، لا بل وفي شعور سكان الشرق الاوسط والمسلمين عموماً ، يجدر بنا ان نفحص تطور سياسة الولايات المتحدة — او انعدامها — في الشرق الاوسط ، خلال الثلاثين عاماً المنصرمة . كما ويجدر بنا ، في الوقت

---

(١) طلبت رئاسة تحرير مجلة Life الأميركية الى كاتب هذا المقال ان يدلي برأيه عن هذا الموضوع. وقد ظهرت فقرات من هذا المقال في عددها الخاص بموضوع « آسيا » الصادر في ١٩٥١/١٢/٣١ .

نفسه ، ان نقدر حق القدر ارتفاع مدّ الاماني القومية ، والحركات الوطنية المنبثقة منهـا ، في وجه محاولات بريطانيا وفرنسا الرامية الى الاستمرار في تطبيق سياسة القرن التاسع عشر الاستعمارية في القرن العشرين . ويجب علينا ان نقول ، ونحن في مطلع البحث ، ان هذه الاماني القومية التي تمثل اعنف قوة دينميكية انتقلت من الغرب الى الشرق الاوسط ، يمكن ان تلخص بهدف واحد ، ذي شقين ، يسعى جميع شعوب الشرق الاوسط الى الوصول اليه ، الا وهو : تحقيق الاستقلال التام بتحرير البلاد من اية سيطرة اوتدخل اجنبي ، ورفع مستوى البلاد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

تعرفت شعوب الشرق الاوسط على اميركا ، اول ما تعرفت عليها ، بوساطـة ارسالياتها الدينية والثقافية والخيرية . فقد وصلت اولى هذه الارساليات عام ١٨٢٠ . وبقي اتصال الولايات المتحدة بالشرق الاوسط ، خلال مئة العام التالية ، خارج دائرة السياسة . وعلى هذا فقد تمكنت الولايات المتحدة ، نظراً لعدم وجود مصالح سياسية لهـــا في الشرق الاوسط ، من البقاء بمعزل عن معتركه السياسي . وهذا ما اضفى هالة من النور على جبينها ، وزاد في تعاظم سمعتها الطيبة ما كانت تقدمه من اعمال خيرية ، والاشخاص الذين كانوا يتولون الاشراف على تلك الاعمال . فقد قام اولئك الرجال بتكرانهم ذواتهم وتضحياتهم ، باجـــل الخدمات في سبيل تعزيز العلاقات الحسنة ونشر النيات الطيبة بين الشعوب .

ازدهرت المدارس والكليات الاميركية في طول هذه المنطقة

وعرضها ، من طهران الى بيروت ، ومن استانبول الى اسيوط ، وقد اظهرت هذه المدارس اميركا باحسن حالتها ، وطبعت شخصيات اميركية ممتازة – مثل جيسب ( جدّ فيليب جيسب السفير فوق العادة ( وفانديك ( الاب والابن ) وكلهون وبلس ( الاب والابن ) – بما قاموا به من خدمات جليلة طوال حياتهم ، صورة لاميركا في اذهان شعوب الشرق الاوسط ، كانت اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . ومن هؤلاء الاميركيين تعلم الايرانيون والاتراك وعرب الهلال الخصيب ومصر درسهم الاول في الديموقراطية والوطنية . فهل كان بالامكان تدريس قصة الثورة الاميركية من دون اذاعة افكارها ونشر مثلها العليا ؟ او هل كان بالامكان تلاوة خطبة ابراهيم لنكولن في جتيزبرج ، بحماسة واعتزاز ، في اجتماعات المدارس ، من دون غرس افكارها عن « حكومة الشعب ، بالشعب ، ولاجل الشعب » في عقول السامعين ، وعلى الاخص السامعين ، الذين كانت تسلخ جلودهم سياط الطغاة : وطنيين واجانب ؟ واي انسان ، في مثل هذه الحالة الفاجعة ، يستمع دون ان يتحرك وجدانه الى كلمات باترك هنري المتيرة ، « اعطني الحرية او اعطني الموت » ؟

ويجب ان نضيف الى ما تقدم صورة اميركا التي رسمها المهاجرون من ابناء الشرق الاوسط . لقد هربوا ، في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، من شدائد الامبراطورية العثمانية الاقتصادية والاجتماعية ، فوجدوا في العالم الجديد ملجأ آمناً ، حيث

استطاعوا ان يشقوا طريقهم في الحياة ، دون ان تعترضهم عوائق العالم القديم ، ومن حيث ما فتئوا يبعثون الى اهلهم بالكثير من ثمرات نجاحهم المدهش .

وقد وضعت النقاط الاربع عشرة ، التي نادى فيها المرحوم وودرو ولسون بمبدأ حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها ، حجر الزاوية في سمعة اميركا الطيبة . وكانت الخطب ، في الكنائس والجوامع ، ترصّع باقتباسات من هذه النقاط ، فاكتسبت كلمة « اميركي » اشراقاً وبهاء لم يحظ بهما اي اسم او لقب من قبل .

وكانت صورة اميركا والاميركيين هذه تقارن ، دائماً ، بصورة الاجانب الآخرين ، وعلى الاخص الافرنسيين والانكليز ، الذين كان العرب ينوؤن تحت وطأة انتدابهم منذ نهاية الحرب العالمية الاولى . فكانت مصلحة الحكام والمحكومين متعارضة ابداً بسبب تنافس الدول الاوربية على السيطرة على هذه المنطقة ، وبسبب نموّ الاماني القومية في قلوب شعوبها .

إن اهمية الشرق الاوسط العالمية تقوم على موقعه السوقي ( الاستراتيجي ) ، وعلى موارده الطبيعية ، وعلى الاخص النفط . ولو كانت شعوب هذه المنطقة قادرة على استغلال موقع بلادها السوقي ومواردها الطبيعية لمصلحتها الخاصة ولمصلحة العالم لما نشأت هذه المصاعب الحاضرة ، في اغلب الظن ، ولما شاهد القرن التاسع عشر تلك المأساة السياسية المسماة بالمسألة الشرقية ، ولما شاهد القرن العشرون الادوار نفسها يؤديها ممثلون آخرون ، قد يكونون اقل

مهارة واعظم صلفاً .

واذ لم تبلغ شعوب الشرق الاوسط المدى الذي بلغه الغرب اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، فقد ظلت مقدرتهم على التطور محدودة، وبقيت امانيهم القومية دون تحقيق . ولما كانت اعظم مقاومة لقيتها هذه الاماني القومية قد جاءت ، بطبيعة الحال ، من قبل الدول ذات المصالح الكبرى ، ومن قبل فرنسا وبريطانيا على وجه التعيين ، فقد اصبح ابناء الشرق الاوسط ميّالين لالقاء سبب كثير من سوء احوالهم عليهما . ولقد كانت الفترة التي انقضت بين الحربين ، فترة صراع بين جميع شعوب الشرق الاوسط وهاتين الدولتين . فلم تنقض سنة دون قيام حركة عصيان او ثورة كبيرة في احد اقطار الشرق الاوسط . ونال كل من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وايران حظه من العنف .

ولمس الشرق الاوسط بارقة من الامل خلال الحرب العالمية الثانية . فقد اجبرت ضرورات الحرب هاتين الدولتين على ان تلوحا للشعوب بالاستقلال وتحقيق امانيهم القومية . وفي الحق ان جزءاً من آمال شعبين من شعوب الشرق الاوسط ، اي سوريا ولبنان ، قد تحقق ، ولما تنته الحرب، بفضل ضغط الولايات المتحدة الذي جاء في وقته المناسب . وكما كان متوقعاً فقد ارتفعت سمعة اميركا بين شعوب الشرق الاوسط ، واصبحت محط آمالهم ، باعتبارها حاملة راية الحريات الاربع ، ومبادىء ميثاق الاطلسي.

ولكن ما ان تحقق النصر للحلفاء حتى اخذت الصورة تتغير. فمع

ان شعوب الشرق الاوسط تابعت النضال في سبيل استقلالها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فان فرنسا وبريطانيا كانتا غير مستعدتين لتصفية امبراطوريتيهما. كما أنهما لم تستطيعا الاحتفاظ بهاتين الامبراطوريتين متماسكتين دون معونة وسند خارجي. فما كان باستطاعة فرنسا وبريطانيا، وحدهما ان تحتفظا بسيطرتهما على تسع محميات وثلاث مستعمرات وخمسة أقطار تحت الاحتلال العسكري في العالم العربي وحده. هذا بغض النظر عن تحقيق السياسة الاستعمارية تحت ستار المعاهدات المفروضة فرضاً فيما يسمى باقطار الشرق الاوسط المستقلة. إذ تكاد تكون جميع المعاهدات التي تربط مختلف بلاد الشرق الاوسط ببريطانيا وفرنسا قد عقدت تحت الضغط والاكراه. ويعتبر الشخص العادي في الشرق الاوسط الولايات المتحدة شريكاً صامتاً في جميع الاعمال الدبلوماسية التي قامت بها فرنسا وبريطانيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وهذا هو السبب الرئيسي لشكهم في نواياها وعدم ثقتهم بها.

فعلينا ان نعتبر نهاية الحرب العالمية الثانية، بغض النظر عن صحة هذه النظرة او بطلانها، نقطة التحول الخطيرة في دور الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، وفي سمعتها بين شعوبه. إذ لم تعد الولايات المتحدة بمعزل عن الشرق الاوسط، نائية عنه. فقد قذفت بها الحرب نفسها الى منصب الزعامة والمسؤولية. وأصبح لها الصوت المهيمن فيما يقرره حلفاؤها من سياسة، وفيما يقومون به من اعمال، سواء كانت هذه السياسة والاعمال صغيرة ام كبيرة.

وقد أصبح لها زيادة ، على ما تقدم ، مصالحها الخاصة في هذا الجزء من العالم ، وهي مصالح دولية محسوسة معينة خطيرة النتائج .

لقد كانت مصالح اميركا في الشرق الاوسط، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ضئيلة ، لا تستوجب اتخاذ سياسة خاصة حيالها . اما الآن فان الشرق الأوسط يملي على الولايات المتحدة الاهتمام به باعتباره مركز الثقل في القضايا العالمية ، سواء كان ذلك في وقت السلم أو الحرب . ومن هنا يتحتم على الولايات المتحدة ان تكوّن لها في الشرق الأوسط سياسة واضحة الأهداف ، مدروسة بعناية . فطالما كانت السياسة الدولية تكره الفراغ ، فانه ليس بوسع الولايات المتحدة ان تسمح لدولة غير صديقة في ملء الفراغ المسبب عن احتمال انسحاب دولة صديقة .

ان الشرق الاوسط هو المنطقة الوسطى الواقعة بين المعسكرين اللذين يبدو ان عالمنا قد انقسم اليهما. إنه المنطقة الحاجزة التي يحتمل أن يشن منها احد المعسكرين الهجوم على الآخر ، أو يبني فيها خطوطه الدفاعية . واميركا مهتمة بهذه القضية اهتماماً عميقاً كأي دولة اخرى .

لا عجب ، إذن ، إذا كانت الولايات المتحدة قد أبدت اهتماماً فعالاً بالنزاع الانكليزي ـ الايراني حول النفط ، والخلاف الانكليزي ـ المصري حول قناة السويس ( وهو أمر تهتم له الولايات المتحدة حتى ولو لم تصحبه المضاعفات الاسرائيلية ) ، وأزمة المعاهدة بين انكلترا ومصر . على ان مصلحة اميركا هذه ،

بحكم الضرورة ، قد جعلتها تقف في صف الحكومة البريطانية التي توالي شعوب الشرق الاوسط النضال ضدها في سبيل الحصول على استقلالهم . وأن هذه الشعوب لم تستطع ، حتى الآن ، أن ترى الحالة العالمية كما يراها الاميركيون . ولا يفترض فيهم ان يفعلوا ذلك حتى يصبحوا شركاء مع الاميركيين ، يتقاسمون الخير والشر على السواء .

ويبدو ان الامبراطوريتين اللتين ما زالت شعوب الشرق الاوسط تكافحها طوال نصف القرن المنصرم آخذتين في الانحلال ، وأن الولايات المتحدة في نظر الكثيرين ، تقوم بدور الوريث لهما . وأن قوة الولايات المتحدة في هذه الحالة — وليس ما يصحبها من مشاكل ومتاعب — هي التي تشغل المحل الأرفع من تفكير شعوب الشرق الاوسط . فمن اليسير عليهم ان يتصوروا ان الولايات المتحدة تتعمد إضعاف هاتين الامبراطوريتين لتستولي على تراثهما وتمد في رقعة امبراطوريتها الجديدة الخاصة . وإذا لم يكن هذا صحيحاً فان الولايات المتحدة تكون قد ساندت أعداء شعوب الشرق الاوسط التقليديين وهي عمياء عن نتائج عملها . ومهما كانت الحال فان شعوب الشرق الاوسط لم يحظوا بشيء من الاطمئنان أو الراحة من تجربتهم الحديثة للسياسة الاميركية ، او لانعدام مثل هذه السياسة ، في مجال التطبيق .

ولا يظهر الشعور بالقلق والخوف وعدم الثقة والغيظ قوياً ، واضحاً ، في قضية ما ، مثل ظهوره في قضية فلسطين . ومن

البديهي ان مشكلة فلسطين ليست من خلق الولايات المتحدة . وإنما هي ثمرة السياسة البريطانية، وتفسير النبوءات التوراتية تفسيراً مريباً . فقد اقنعت ضرورات الامبراطورية وزارة لويد جورج الائتلافية ان تصدر على لسان بلفور أغمض وثيقة دبلوماسية أعني تصريح بلفور . لقد اقتنع البريطانيون بصحة القضية التي طالما أكدها التاريخ ، القائلة بان السيطرة على مصر ( وعلى قناة السويس بطبيعة الحال ) ، لا يمكن ان تتحقق وتكون مضمونة ، إلا بالاحتفاظ بقواعد في سوريا ( الطبيعية ) . وكانت القيادة العليا تتوقع ان يحل اليوم الذي تتحرر فيه مصر نهائياً من السيطرة البريطانية . وعلى هذا سيؤدي خلق دولة « صديقة » في فلسطين الى حماية المصالح البريطانية .

وكانت سنوات ما بين الحربين ، كما تقدم ، سنوات نضال شنه العرب ضد هذه السياسة . وكان البريطانيون يملكون القوة المادية والسياسية لفرض خطتهم ، وكان الصهاينة يملكون المهارة على استغلال الجانب العاطفي والانساني من الرأي العام الغربي . اما العرب فلم يكونوا يملكون غير الحق ، فخسروا .

وفي اللحظة التي لاح فيها بارق من الامل في ان العالم الجديد — الذي يعتبر حامل لواء حقوق الانسان والشعوب ، والمدافع عن العدالة ، والمنادي بتطبيق المبادىء الاخلاقية في المحادثات والعلاقات الدولية — سيخف لنجدة العرب ، ذاق العرب امرّ خيبة للامل : صفعة على الوجه من يد صديق . ومما لا شك فيه ان

اولئك الذين لم يطلعوا على حقيقة القضية الفلسطينية وتقسيمها بين العرب واليهود ، او الذين لم يهمهم امر هذه القضية إطلاقاً ، لم يروا فيها ما يخدش الوجدان . اما بالنسبة الى العرب فان تصرف الولايات المتحدة كان بعيداً عن التصور . وما هي غير عشية وضحاها حتى تحولت مرارة العرب التي كانت موجهة في السابق نحو الانكليز ، الى الولايات المتحدة ، وقد تضاعف فيها الغيظ والحنق اضعافاً . ولا يقتصر هذا الشعور على العرب وحدهم . فالمسلمون عموماً ، داخل الشرق الاوسط وخارجه يشاركون فيه. فلقد اصبحت مشكلة فلسطين رمزاً لعدم نضج الغرب ، وبخاصة اميركا ، وسوء نواياه في العلاقات الدولية .

ومما قوى هذا الاعتقاد الطريقة التي عالجت بها الولايات المتحدة نتائج المشكلة الفلسطينية وسلوك مندوبيها المتحيز في كل ما له مساس بالقضية . فلقد اهملت الولايات المتحدة فرض قرارات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين بمثل الهمة والحماسة التي فرضت بها قرار الامم المتحدة حول كوريا . ولم تقم باية محاولة لتنفيذ قرار التقسيم الاصلي الذي أقرته هيئة الامم المتحدة ، ولضمان تدويل منطقة القدس ، ولتطبيق القرارات المتعلقة باللاجئين العرب . ولم تبد أي ميل الى فصل سياستها العربية العامة عن سياستها الاسرائيلية . ونتيجة لما تقدم اصبحت جماهير العرب والمسلمين وسكان الشرق الاوسط عامة ، وقادتهم مقتنعين بان الولايات المتحدة ، وليس بريطانيا ، هي الآن عدوتهم ، والعقبة الوحيدة

التي تحول دون تحقيق امانيهم . وان بدا هذا الذي نقوله تفسيراً غير منصف ، وغير ناظر بعين الاعتبار الى ما عسى ان يكون من ظروف مخففة ، فهو في الحقيقة يمثل صورة القضية كما ينظر اليها العرب . وهذا ما يجب على اميركا ان تضعه نصب عينيها وتعالجه عندما تضع سياستها للمستقبل .

ويتضح الاعتقاد بعداء اميركا للعرب مرة ثانية ، في استجابة قادة الشرق الاوسط وجماهيره لموقف الولايات المتحدة من الخلاف بين بريطانيا وايران حول تأميم النفط ، ولموقفها من الخلاف الانكليزي – المصري حول الملاحة في قناة السويس ، ولموقفها من الغاء المعاهدة الانكليزية – المصرية لسنة ١٩٣٦ ، ولموقفها من الحركة الوطنية في شمال افريقية ، وعلى الاخص في مراكش ، واخيراً لموقفها من قيادة الشرق الأوسط ( او ما يسمّى في العربية بالدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ) . ان قضية شمالي افريقية تقع خارج نطاق بحثنا هذا ، اذا اردنا التحديد ، من الوجهة الجغرافية ، ولكنها تقع ضمن نطاق هذا البحث سياسياً نظراً لأهتمام جميع المسلمين الذين يؤلفون أكثر من ٩٠٪ من سكان الشرق الاوسط بها ، ونظراً لما يرون فيها من ملابسات – أعني ان الولايات المتحدة قد وقفت في صف اعدائهم الالداء .

قد لا يكون ما ذكرناه آنفاً عظيم الخطورة في حد ذاته لولا ان له جوانب اخرى . ان السياسة الاميركية خاضعة ، بطبيعة الحال ، للناحية العالمية من الصراع ضد الشيوعية الدولية . ولكنها

باخفاقها في اظهار اي اهتمام بامالي شعوب الشرق الاوسط القومية المشروعة، فقد اعدت الارض الخصبة لنمو الشيوعية بينهم. فاميركا الآن ، في نظر الرجل العادي في الشرق الاوسط ، قد وقفت في صف المستعمرين ، بينما غدت روسيا نصيرة الوطنيين والمدافعة عن حقوقهم. ومما زاد هذا الوضع الشاذ تأكيداً ان الحكومة الاميركية قد درجت على التعامل مع الحكومات فقط ، في حين تفصل بين الحكومات القائمة في الشرق الأوسط وبين شعوبها هوة سحيقة . وهذه الحكومات هي ، بطبيعة الحال ، حارسة الوضع الراهن الذي تقوم عليه مصالحها الخاصة . وقد أصبح على اميركا ، بحكم الضرورة ، ونتيجة لأهتمامها الشديد بالاستقرار في هذه المنطقة ، ان تتعامل مع هذه الحكومات . وعلى هذا اصبحت الشكوك تحوم حولها ، وتتهمها بانها قد اصبحت حليفة لهذه الحكومات ، ولما تمثله هذه الحكومات من رجعية وفساد واستبداد. اضف الى هذا اتهام شعوب الشرق الاوسط اميركا بمعارضة امانيهم القومية ، تكمل عندك صورة اميركا كما تراها هذه الشعوب .

ولم تكن السياسة الاميركية وحدها موضوعاً لنقمة جماهير الشعب في الشرق الاوسط فحسب ، بل ان الطريقة التي اتبعت في تنفيذ هذه السياسة قد تعرضت للنقد اللاذع ، واثارت الكثير من الهواجس والشكوك . فقد يعاب على الاميركيين اظهارهم المنة والغطرسة في تعاملهم مع شعوب هذه المنطقة، واعتقادهم بان الدولار قد ينجح حيث اخفقت النيات الحسنة. ويصدم الاميركيون عادة ،

عندما يكتشفون بان الناس لا ينظرون اليهم كما يجب ان ينظروا الى المحسنين وواهـــبي العطايا السخية . صحيح ان بلدان الشرق الاوسط ، وكثيراً من البلدان الاخرى ، قد انتفعت بما قدمته لها الولايات المتحـــدة من مال ومساعدات فنية . وصحيح كذلك ـ لسوء الحظ ـ انه بينا اميركا قد اعطت بسخاء من ثروتها المادية ، لم تعمل الا الشيء القليل على تسكين آلام الجراحات العميقة في عقول الشعوب وقلوبها . « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » ـ وليس من اليسير على الأنسانية المجروحة جراحات عميقة ان تنهض لتشكر من يقـــدم لها الآلات الزراعية ، والمنافـــع المنزلية العصرية ، والمرطبات والعلكة .

لا شك في صدق نية الحكومة الاميركية والشعب الاميركي ، في سعيها لنفع الشرق الاوسط ، بوساطة رفع مستوى الحياة فيه ، وفي ايجاد احسن الطرق واضمنها لمقاومة انتشار الشيوعية . ولكن النية الطيبة التي يفترض ان تولدها هذه المساعي قد قضى عليها اعتقاد العرب بان كل مشروع للمساعدة لا بد وان ينطوي على صفقة مريبة ولقد استاءت شعوب الشرق الاوسط استياءً شديداً من منـــح الحكومة الاميركية الدول العربية السبـــع منحة مقدارها ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ دولار ، ومنح اسرائيل المبلغ نفسه . فسكان الدول العربية يعدون ما لا يقـــل عن اربعين مليون نسمة ، بينما سكان اسرائيل لا يكاد يبلغون المليون ونصف المليون . ويظهر أن القسمة الجائرة نفسها قائمة فيما يتعلق بمشروع قيـــادة



obeikandl.com

الشرق الاوسط ، الذي يقال بانه سيجهز الدول العربية واسرائيل بالسلاح بنسبة متساوية : بندقية مقابل بندقية، ودبابة مقابل دبابة، ورصاصة مقابل رصاصة .

لقد وصف خطر الشيوعية العالمية وصفاً حياً لشعوب الشرق الأوسط . وأخبروا بان الغرب عازم على الدفاع عنهم بموافقتهم ، ما أمكن الحصول على موافقتهم، وبدون موافقتهم إذا ما اقتضت الحال ، فالوقت عنصر جوهري من عناصر القضية . وقد ردّ على هذا أحد الزعماء بقوله : « لا يوجد شيء يسمى بالخطر الشيوعي في مصر أو في أي بقعة من بقاع الشرق الأوسط . إن هذا الخطر موجود في أذهان الانكليز والأميركان فحسب ». إن موقف هذا الزعيم هو انموذج لتفكير الناس في الشرق الأوسط ، وهو يصدر عن ضغينة ونكاية ، أكثر مما يصدر عما تستوجبه الحال . وهنا تكمن المأساة . فما يعتقده المرء ، بغض النظر عن صحته أو خطأه ، هو الذي يؤثر في أفكاره وسلوكه . ولما كان الشخص العادي في الشرق الاوسط مستاءً من الغرب ( وأميركا بنظره هي الغرب )، شديد الحنق عليه ، فهو مستعد أن يؤيد كل دولة تعادي ما يفهمه من الديمقراطية الغربية .

والشيوعيون يعرفون هذا الموقف الذي تقفه شعوب الشرق الاوسط معرفة تامة ، ويستغلونه أحسن استغلال. فهم يستخدمون اسلوبهم المجرَّب في ربط الشيوعية بامانى سكان المنطقة القومية وآمالهم في الحياة. وما فعله الشيوعيون في الصين وفي الهند الصينية

واندونيسيا والملايو يفعلونه في الشرق الاوسط ، بنجاح لا بأس فيه . وان الوعود التي يقدمهـــا دعاة الشيوعية لشعوب الشرق الاوسط عن اصلاح الاحوال وايجاد حياة أفضل ، بالاضافة إلى حنق هذه الشعوب الشديد على الغرب، قد تواطأت على جعل سكان الشرق الاوسط ما يمكن ان يسمى بـ « شيوعي النكاية » .

وسبب مهم آخر لتردّي سمعة اميركا هو التنافس القائم ، حتى في ساعة المحنة هذه ، بين الولايات المتحدة وحلفائها . ففي حلبـــة السياسة ، حيث تتنافس الدول على مد سيطرتها واكتساب أنصار لها ، كثيراً ما تلام اميركا على مواقف لم تقررها وحدها . وسواء أكانت هذه الحال نتيجة مناورات سياسية متقصدة من قبل حلفائها أم لا ، فالنتيجة واحدة : ان سمعة اميركا في الشرق الأوسط قـد تدنّت .

لقد بيّنت الأزمة الحاضرة ، بوضوح ، حاجة أميركا إلى اصدقاء وحلفاء. كما بينت ايضاً سخف اية محاولة لاقامة تحالفات وصداقات على اي اساس ، غـير الاساس المكين الراسخ من نوايا الشعوب الطيبة . ان اميركا لا تتمتع الآن بثقة الشعوب وحسن نواياهـا . ولكن الوقت لم يفت لتستعيد مركزها القديم كصديق كـريم للشرق الاوسط .

يجب على اميركا، إذا ارادت ان تحقق هذا ، ان تصوغ للمنطقة باسرها سياسة شاملة بعيدة الأمد ، وتستبدل بها هذه المجموعة من السياسات المتعاقبة المرتجلة . ويجب أن تتمشى هـذه السياسة مع

مثلها الديمقراطية . ويجب ان تستهدف ربط قضية الديمقراطية بامانى شعوب الشرق الاوسط القومية المشروعة ، كما ويجب ان تطبق بصورة تجعل ثمرات الديمقراطية المحسوسة ، على الدوام ، أشهى من الوعود التي يلوح بها الشيوعيون للشعب ، ويجب ان تقنع الشعب بان السياسة الاميركية لا تعتبرهم أشياء ثانوية بالنسبة للمصالح الاميركية .

ان التطبيق العملي لهذه السياسة يستوجب ما يلي :

١ — يجب ان توضح الولايات المتحدة لحليفتيها الرئيسيتين ، بريطانيا وفرنسا ، بانها يجب ألا يؤملا في مساعدتها وتأييدها في سياسات لا تتفق ومبادىء الديمقراطية الأميركية وتؤدي إلى قمع أماني شعوب الشرق الاوسط القومية .

٢ — يجب على الولايات المتحدة ان توالي إسداء المعونة المادية والفنية للشرق الاوسط دون ان تكون هذه المعونة مرتبطة باية غاية اخرى ، حتى لاتتخذ طابع مساومة عند قوم عرفوا بحنكتهم التجارية وحذقهم في المساومة .

٣ — يجب على الولايات المتحدة ان تحاول إصلاح سياستها الفلسطينية الخاطئة الخطرة ، وذلك بتطبيق قرارات هيئة الامم المتحدة حول فلسطين والمتعلقة بحدود اسرائيل وتدويل منطقة القدس واعادة اللاجئين العرب الى وطنهم او تعويضهم عن املاكهم . وإذا لم تستطع ان تفعل ذلك فبامكانها ، على الأقل ، ان تمهد

الطريق لحل من الحلول مبني على العدالة والديمقراطية .

فما لم تستطع الديمقراطية ان تستولي ، من جديد ، على خيال الجماهير ، وما لم تصل ثمراتها الى كل مدينة وبلدة وقرية ، وما لم تحصل مثلها العليا من انصارها على اكثر من كلمات معسولة ، وما لم يدافعوا عنها ويحموها في الخارج كما يدافعون عنها ويحمونها في الداخل ، فانها لن تستطيع ان تقف امام تيار الشيوعية الجارف .

يقول ريموند فوزدك ، في مقاله الرائع : « يجب الا نخاف من التغيّر » ( المنشور في « نيويورك تايمز مكزين » — ٣ نيسان ، ١٩٤٩ ) : « ليس في العالم فكر ممتازة توسم من حولها الطلاسم لتحميها من المنافسة . ان الأحرار وحدهم هم الذين يجرأون على التفكير . وانه لا يمكن ابقاء روح الشعب حيّة إلا بوساطة الافكار الحرة المعبر عنها بحرية » .

في هذا الصراع القائم بين الديمقراطية والشيوعية ، يجب على الولايات المتحدة ، نصيرة الديمقراطية ، ان تغرس روح الحرية في الشرق الاوسط وتنميها وتدافع عنها . إذ على شعوب الشرق الاوسط الحرة يجب ان تعتمد اميركا إذا ارادت ان تربح المعركة العتيدة وتبقى ، كي تحيا الديمقراطية ولا تمحى من على وجه الارض .